مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٣/٢٠١٢ هـ.ق، العدد ١٩ (١) ٩٥- ١١٠

# جهود أبي عبيدة (رائد علمي المعاني والبيان) الأدبية للقرآن الكريم في ميزان الدراسة والنقد

رضوان باغباني[١]، خليل پرويني*[٢]، محمد ابراهيم خليفه شوشتري[٣]، عيسى متقي‌زاده[٤]

تاريخ الوصول: ١٤٣٢/٢/١٤ تاريخ القبول: ١٤٣٢/٧/٢٤

**كتاب «مجاز القرآن» لأبي‌عبيدة من أوائل الكتب التي ألفت عن القرآن الكريم في نهاية القرن الثاني للهجرة. عند دراسة هذا الكتاب نجد بذوراً أولى تتحدث عن نظم القرآن الكريم وأسلوبه. فجهوده في هذا الحقل مهّدت السبيل فيما بعد لظهور مصنفات كثيرة تبحث في أسلوب القرآن الأدبي.**

**يكشف أبو عبيدة في كتابه عن مناحي الجمال في القرآن الكريم. فقد أدرك أنّ في آيات القرآن الكريم شيئاً يحتاج إلى شرح وتوضيح؛ فاتجه في كتابه إلى بيان خصائص القرآن الكريم من الناحية اللغوية والنحوية والبلاغية، مستشهداً بآيات القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر والنثر. واهتدى من وراء ذلك إلى سرّ إعجاز القرآن وبلاغته وإن لم يُشِر إلى مسألة الإعجاز وإلى كلمة الإعجاز بصورة مباشرة.**

**هذا الكتاب يمثل المرحلة الأولى من مراحل تطور النقد والدراسات البيانية للقرآن الكريم. ويعتبر أبو عبيدة أول من تناول النواحي الدقيقة والخفية في أسلوب القرآن ووضع اللبنات الأولى لدراسة إعجاز القرآن الأدبي.**

**المنهج الذي اعتمدناه في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي.**

**الكلمات الرئيسية: القرآن الكريم، «مجاز القرآن»، الإعجاز، أبوعبيدة، الدراسة الأدبية.**

١. طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة «تربيت مدرس» في طهران البريد الإلكتروني: rezvan_baghbani@yahoo.com

٢*. أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة «تربيت مدرس» في طهران

٣. أستاذ مشارك في اللغة العربية وآدابها بجامعة «شهيد بهشتي» في طهران

٤. أستاذ مساعد في اللغة العربية وآدابها بجامعة «تربيت مدرس» في طهران

**المقدمة**

القرآن الكريم كان ومازال وسيظل محور دراسات الباحثين، على مختلف المشارب والمذاهب. ومنذ نزل القرآن الكريم أدهش بلغاء العرب بإعجازه، فجعلوا يتأملون آياته ويتصفحون سوره. وقد دفع تفرد العبارة القرآنية العلماء إلى دراستها من جميع جوانبها حتى أصبحت معرفة سر الإعجاز القرآني مطمح الدارسين.

ألفت كتب قيمة في مجال الدراسات القرآنية وكان أبوعبيدة معمر بن المثنى من روّادها بتأليف كتابه «مجاز القرآن» في نهاية القرن الثاني للهجرة.

كتاب «مجاز القرآن» يستجيب للنحو والبلاغة والنقد وهو يعد مرحلة أولية في الكشف عن أسلوب القرآن الكريم.

درس أبو عبيدة القرآن الكريم دراسة من يعرف مناحي القول المختلفة في بيانه ووقف على بعض المصطلحات البلاغية وتعرض للآيات القرآنية تعرضاً أدبياً مع مقارنتها بما جاء في الأدب العربي والاستفادة من محصوله الأدبي واللغوي. فاستطاع بهذه الطريقة أنّ يكشف عن بعض المسائل في أسلوب القرآن الكريم. وفتح بذلك طريقاً كثر مرتادوه وتعاقب عليه من تناول القرآن الكريم تناولاً أدبياً بالبسط والتفريع.

وهذا الكتاب ذو أهمية كبرى من جهات أربع؛ أحدها: أنّه أول دراسة لغوية في القرآن، ثانيها: أنّه يعتبر مرحلة أولية من مراحل تطور النقد والدراسات البيانية لأسلوب القرآن، وفي تطور الأدب العربي عامة، وثالثها: أنّه مرجع لكثير من الدراسات اللغوية والأدبية التي تلت، ورابعها: أنّه يعدّ شركة بين التفسير وعلم اللغة والبلاغة.

**خلفية البحث وأهميته:**

لم يهتم الباحثون بأبي عبيدة اهتماماً يناسب عَطاءَه النحوي والبلاغي واللغوي كغيره من النحويين والبلاغيين واللغويين القدماء.

فمن الكتب التي تحدّثت عنه كتاب «الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري» لعيسى شحاته عيسى علي. وكتاب «المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني» لأحمد جمال العمري. وكتاب «قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية» لعبد العزيز عبد المعطي عرفة. وكتاب «أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري» لمحمد زغلول سلام. وكتاب «البحث الدلالي في كتب معاني القرآن» لعمار الدّدّو.

فمؤلفو هذه الكتب خصصوا عدة صفحات من كتبهم لدراسة كتاب «مجاز القرآن»، ولكني لم أعثر على كتاب يتحدث بشكل مستقل عنه.

أما بالنسبة للمقالات فقد وجدنا مقالا تحت عنوان «أبي عبيدة التّيمي منهجه ومذهبه في مجاز القرآن» لموفق السّراج؛ تحدّث مؤلفه في البدء عمّا أُلِّفَ في القرآن ثمّ تطرق إلى كتاب «مجاز القرآن» ذاكراً أنّ هذا الكتاب ينضوي تحت ما أُلِّفَ من كتب في «معاني القرآن» وإن اختلف عنها في التسمية. وأشار إلى بعض الأمور البلاغية والنحوية في الكتاب وإلى أسباب تألبِ معاصري أبي عبيدة عليه. وهناك مقال باللغة الفارسية تحت عنوان «مقايسه "مجاز القرآن" ابوعبيده و"تلخيص البيان في مجازات القرآن" سيّد شريف رضى» لمحمد علوى مقدم، وقد طبع هذا المقال ضمن كتاب «در قلمرو بلاغت». فكما يظهر من عنوان المقال أنّ المؤلف قارن كتاب «مجاز القرآن» بكتاب « تلخيص البيان في مجازات القرآن» واستنتج من هذه المقارنة «أنّ كتاب "مجاز القرآن" في الحقيقة تفسير لبعض الآيات من القرآن المجيد لكن كتاب "تلخيص البيان في مجازات القرآن" شرح للمسائل البلاغية للقرآن الكريم.» (علوى مقدم، ١٣٧٢ه . ش، ص ٦٤٦)

و هناك رسالتان في فرع اللغة الفارسية وآدابها في "معهد العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية" حول «مجاز القرآن» تحت عنوان «پژوهشی در مباحث بلاغی کتاب مجاز القرآن همراه با ترجمه فارسی أنّ» لعذرا كل بياتی و «پژوهشی در مجاز القرآن ابوعبیده معمر بن مثنی» لزهرا كامياب. فالرسالة الأولى ترجمة للجزء الأول من كتاب «مجاز القرآن» تحقيق فؤاد سزكين والرسالة الثانية ترجمة للجزء الثاني منه. وفي كلتيهما دراسة موجزة لحياة أبي عبيدة وتعريف للمجاز والحقيقة وأنواعهما.

واشكالية البحث تكمن في أنّ أبا عبيدة رغم أنّه أول من تطرق إلى جوانب الإعجاز الأدبية في القرآن إلا أنّ المحققين أغفلوه أو كادوا أنّ يغفلوه ضمن دراساتهم حول تطور قضية الإعجاز في الدراسات القرآنية.

الهدف الذي نرمي إليه من هذا المقال هو استقصاء المسائل الأدبية في هذا الكتاب ودراستها وتحليلها. ففي البدء وقفنا عند دراسة المؤلف وسبب تأليف الكتاب ومراد المؤلف من لفظة (المجاز) ومنهجه في الكتاب والقضايا الهامة فيه ثم تطرقنا إلى دراسة المباحث الصرفية والنحوية والبلاغية في هذا الكتاب وسعينا إلى أنّ ننظر فيها نظرة تحليل وننوّه بما نراه جديراً بالتنويه به من أفكار أبي عبيدة الأدبية. فتوصلنا إلى نتائج جديدة كانت غائبة عن أنظار الباحثين في هذا الكتاب. أما منهجنا في هذا البحث فهو المنهج التوصيفي ـــ التحليلي.

**حول مؤلف الكتاب:**

هو أبو عبيدة مَعمر بن المثنّى التيمي بالولاء، البصري النحوي، قيل أنّه ولد في سنة ١١٠ للهجرة لأبوين رقيقين من يهود فارس من باجَروان، وكان مولى لتيم قريش. لم تذكر المراجع مكان ولادته ولكنها تضعه في عداد علماء البصرة. كان من أعلم الناس بأنساب العرب وأخبارهم وأيامهم. اختلف العلماء في تاريخ وفاته فذكروا أنّه توفي بالبصرة بين سنتي ٢٠٨ هـ و٢١٣ هـ (ابن خلكان، لا تا، ج٥، ص ٢٣٥-٢٤٣؛ والسيرافي، ١٩٥٥م، ص ٥٢-٥٥؛ والزبيدي، لا تا، ص١٧٥- ١٧٨).

عدّه الزبيدي ضمن الطبقة الرابعة من اللغويين البصريين (لا تا، ص١٧٥- ١٧٨). رويت له مصنفات كثيرة تزيد على المائتين (ابن خلكان، لا تا، ج٥، ص ٢٣٨؛ وابن النديم، ١٩٨٨م، ص٥٩-٦٠). ولكن لم يصل إلينا أغلبها إلا عن طريق ذكره في المصادر التي تحدثت عن أبي عبيدة.

يقول الجاحظ عن أبي عبيدة: «لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه» (١٩٩٨م، ج١، ص ٣٤٧).

في زمنه أخذت طبقة المثقفين العارفين باللغة العربية تدرس الأسلوب البياني للقرآن الكريم، وتحاول فهمه للوصول إلى معرفة وجه إعجازه، ولكنهم لم يتمكنوا من فهم بعض الصور البيانية، ومعنى بعض الآيات والألفاظ القرآنية (العمري، ١٩٩٠م ، ص٩١). فألف أبو عبيدة كتابه «مجاز القرآن» قاصداً معرفة أساليب القرآن الأدبية وقدتمكن من ذلك و انتفع به كثير من الباحثين في تفسير القرآن من بعده.

**سبب تأليف «مجاز القرآن»:**

ذكر المؤرخون أنّ الفضل بن الربيع استقدم أبا عبيدة إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ.ق للاستفادة من علمه. وفي مجلسه سأله ابراهيم بن اسماعيل الكاتب في قوله تعالى: ﴿طلعُها كأنّهُ رُؤوسُ الشياطينِ﴾ (الصافات، ٦٥) وقال (ابراهيم): إنّما يقع الوعد والإيعاد بما عُرِف مثله، وهذا لم يُعرَف. فقال

أبو عبيدة: إنّما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أوَما سمعت قول إمرئ القيس؟:

أ يقتلني والمَشرفيّ مُضاجِعي

و مَسنونةٌ زُرقٌ كأنيابِ أغوالِ

و هم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعزم أبو عبيدة من ذلك اليوم أنّ يضع كتاباً في القرآن الكريم، فلما رجع إلى البصرة ألف الكتاب وسمّاه «مجاز القرآن» (ياقوت الحموي، ١٩٩٣م ، ج ٦، ص ٢٧٠٦-٢٧٠٧؛ وابن خلكان، لا تا، ج ٥، ص ٢٣٦).

يتضح مما ذكر أنّ أبا عبيدة ألف «مجاز القرآن» عام ثمان وثمانين ومائة للهجرة. ويستفاد من رواية تأليف الكتاب أنّ أبا عبيدة «عالج فيه كيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنية، باحتذاء أساليب العرب في الكلام، وسننهم في وسائل الإبانة عن المعاني، حين أحسّ بحاجة الناس إلى وصل حاضر اللغة بسالفها، بعد بُعدهم عن مواطنها الأولى، ومواطن المعبرين بها، وبهذا الوصل يتسنى لهم أن يصلوا إلى حقائق المعاني الواردة في القرآن الكريم» (طبانة، ١٩٥٨م ، ص ١٧).

يرى بعض الدارسين أنّ أبا عبيدة كان يهدف في كتابه «مجاز القرآن» إلى إثبات عربيّة القرآن، لذا كان يعتمد الشواهد الشعرية في بيان معاني القرآن في كثير من المواطن (الطيار، ١٤٢٢هـ، ص٣٣٦). ويرى بعض آخر أنّه كان يعتمد على دراسة الشعر العربي وكلام العرب لأنّ القرآن نزل بلغة العرب متحدياً لهم، ولا يمكن فهم القرآن ومعرفة وجوه إعجازه إلا بدراسة اللغة العربية وآدابها (العمري، ١٩٩٠م، ص ١٠١).

فقد بادر أبو عبيدة إلى تأليف «مجاز القرآن» لعوامل منها العامل الديني وخفاء بعض المعاني القرآنية على أهل عصره وخطورة تحريف النص وفهم معاني القرآن.

**المراد من لفظ «المجاز» عند أبي عبيدة:**

أول من استعمل لفظ المجاز أبوعبيدة معمر بن المثنى في كتابه «مجاز القرآن» (ابن تيمية، ١٩٩٦م ، ص ٧٤) و المجاز عنده واسع الدلالة، فهو «يستعمل في تفسيره للآيات هذه الكلمات: «مجازه كذا»، و«تفسيره كذا»، و«معناه كذا»، و«غريبه» و«تقديره»، و«تأويله» على أنّ معانيها واحدة أو تكاد، ومعنى هذا أنّ كلمة «المجاز» عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته» (أبوعبيدة، ١٩٥٤م، تحقيق فؤاد سزكين، ج ١، ص ١٨-١٩).

ظاهر عنوان الكتاب كما يقول الدكتور شوقي ضيف: «يوهم أنّه صنفه في المجاز بالمعنى البلاغي الإصطلاحي، وحقيقة الأمر أنّ كلمة المجاز عنده تعني الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة» (لا تا، ص ٢٩).

فكلمة «المجاز» عند أبي عبيدة لا علاقة لها بالمصطلح البلاغي بقدر ما تعني الدلالة الدقيقة للصيغ التعبيرية المختلفة في القرآن. وهذا اللفظ عند أبي عبيدة معبر إلى الفنون الأسلوبية في القرآن الكريم.

و يرى نصر حامد أبو زيد «أنّ مفهوم المجاز عند أبي عبيدة يتسع ليشمل كل ما يندرج تحت دراسة الأساليب»؛ وما حكاه أبو عبيدة عن سبب تأليف كتابه يؤكد هذا الرأي (١٩٩٨م، ص ١٠٠).

أراد أبوعبيدة من استخدام هذه الكلمة معناها الواسع الذي عرفه من الوضع اللغوي، وهو المعبر والممر والطريق، فكان معنى «مجاز القرآن» طريق الوصول إلى فهم المعاني القرآنية، يستوي عنده أنّ يكون طريق ذلك التفسير اللغوي

للكلمات التي تحتاج إلى تفسير بالجملة الشارحة، أو بالمرادف المفسر من المفردات، وما كان عن طريق الحقيقة بمعناها، أو طريق المجاز بمعناه عند البلاغيين. فمعنى «المجاز» اتسع عند أبي عبيدة وأصبح في نظره صالحاً لكل وسيلة تعين على فهم آي القرآن الكريم، وإدراك معانيه. ومن الدلائل على ذلك أنّه عد (الكناية) من هذا المجاز وإن كان معناها عنده يختلف كثيراً عن معناها عند البلاغيين (طبانة، ١٩٥٨م ، ص ١٨).

إنه يقول – مثلاً – في قوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ (سورة ص، آية ٣٢)، «المعنى للشمس» (أبو عبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٢٤٣). فهو فهم الكناية في الآية القرآنية ولكنه لم يذكر لفظها صريحاً.

يرى موفق السراج أنّ «هذا الكتاب ينضوي تحت ما ألف من كتب في "معاني القرآن" وإن اختلف عنها في التسمية، لأنه ينطلق – كما انطلقت هذه الكتب – في غاية واحدة وهي الرجوع إلى أساليب العربية المستعملة، ومعرفة الطرق التي تسلكها في التعبير، ومن ثم فهم آي التنزيل التي نزلت على طريقة العرب» (١٩٨٥م، العدد ١٨).

يتضح مما ذكر أنّ المراد من المجاز في كتاب «مجاز القرآن» ليس المجاز البلاغي بل المجاز اللغوي الذي بمعنى الطريق إلى تفسير القرآن.

**منهج أبي عبيدة في «مجاز القرآن»:**

اتجه أبو عبيدة إلى دراسة القرآن الكريم دراسة جديدة تعتمد على الكشف عن جماليات الأسلوب فيه بالإستعانة بأدوات مساعدة. فبدأ كتابه بمقدمة عامة حدّد فيها منهجه ومجال لفظة «مجاز» فيه. ثم تطرق إلى تفسير بعض آيات القرآن مما رآه محتاجا إلى توضيح، مراعياً ترتيب الآيات في السور وترتيب السور في القرآن الكريم.

يقول في المقدمة: «قالوا: إنّما أُنزل بلسان عربيّ مبين، وتصداق [مصداق] ذلك في آية من القرآن، وفي آية أخرى ﴿ ومَا أَرسَلْنا مِنْ رسُولٍ إلاّ بِلِسانِ قَومِه ﴾ (إبراهيم، ٤). فلم يحتَج السلَف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنّ يسألوا عن معانيه لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه، وعمّا فيه ممّا في كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص، وفي القرآن مثل ما في كلام العرب من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ١٥).

ففي رأيه أنّ فنون التعبير في القرآن لا تخرج عن المأثور من أساليب العرب وفنونهم.

ثم وقف أمام آيات من القرآن الكريم شارحاً غريبها من بداية المصحف، وأشار إلى الحديث النبوي وأكثر من الإستشهاد على الآيات بالشعر أو النثر. فإنّنا نلمس حضوراً قويّاً للنصوص الشعرية في هذا الكتاب، حتى أنّه قد لا تخلو صفحة من صفحاته من نص شعري أو قول مأثور. هذا النوع من الدراسة يكشف عن أنّه كان يحرص على تحديد سمات النص القرآني من خلال مقارنته بالنصوص الأدبية العربية.

يقول مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار فيه: «و كان يعتمد على المخزون اللغوي الذي كان يحفظه، سواء أ كان تفسير ألفاظ، أم كان شواهد شعرية. وأحدثت ثقافته اللغوية الثرية عنده اعتداداً بعلمه، وجعلته يُقِلّ من النقل عن غيره» (١٤٢٢هـ، ص ٣٤٨).

لكنه مخطئٌ في هذا القول لأنّنا عندما نتأمل في مسائل نافع بن الأزرق عن عبدالله بن عباس، يتضح لنا أنّ أبا عبيدة كان متأثراً بابن عباس وقد نقل عنه كثيراً من الأبيات التي استشهد بها في تفسيره للآيات القرآنية.

والفكرة التي تراود أبا عبيدة وهو يؤلف كتابه كانت فكرة مدرسية، يحاول أنّ يضع أمام طبقة المستعربين صوراً من التعبير في القرآن وما يقابله من التعبير في الأدب العربي شعراً ونثراً ويبين ما فيها من التجاوز أو الإنتقال من المعنى القريب أو التركيب المعهود للألفاظ والعبارات إلى معان وتراكيب أخرى اقتضاها الكلام (سلام، لا تا، ص ٤٣-٤٤).

يرى فؤاد سزكين أنّ أبا عبيدة كان ثمرة معاصريه فهو«لم يتقيد بالقيود التي كانت المدرستان البصرية والكوفية تضعانها لفهم النصوص العربية، لأنّ هاتين المدرستين كانتا في دور التكوين، وبهذا نجا أبوعبيدة من أنّ يخضع لقواعدهما. وقد عني - في ضوء هذا التحرر- بالناحية اللغوية في القرآن، وأكثر من الإستشهاد على الآيات بالشعر العربي، وعنايته بالجانب اللغوي صرفته عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه، كما صرفته عن تتبع أسباب النزول إلا عندما كان يقتضي فهم النص التعرض لذلك» (أبوعبيدة، ١٩٥٤م ، تحقيق فؤاد سزكين، ج ١، ص ١٩).

فمما لا شك فيه أنّ أبا عبيدة قد تفاعل مع الكتاب المقدس؛ لأنّه صادف توجهه الفكري والمذهبي. وقد استطاع بحق أنّ يأتي بنقد جديد مستمد من المعالجة القديمة للنص أو الأثر. وقد نجح في النفاذ إلى النص والوقوف عند خصائصه الجمالية (تحريشي، ٢٠٠٤م، ص ٣٥).

حاول أبو عبيدة أنّ يكشف عن إعجاز القرآن وبلاغته ولكنه لم يشر إلى لفظة «الإعجاز» صريحاً. وهو يعتبر أول من تناول القرآن تناولاً أدبياً؛ وقد قام بعرض كثير من المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية والأسلوبية في القرآن الكريم، مما يثبت أنّه كان على اطلاع واسع في الأدب العربي.

**القضايا الهامة في كتاب «مجازالقرآن»**

من خلال استقراء كتاب «مجاز القرآن» يمكن ملاحظة اهتمام المؤلف ومدى اعتماده على الأمور التالية في تفسيره للآيات القرآنية:

- الإستشهاد بالآيات القرآنية في تفسير بعض الآيات:

اعتنى أبو عبيدة بالإستعانة ببعض الآيات القرآنية، في تفسير بعض الآيات، فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿والنَّهَارَ مُبْصِراً﴾ (يونس، ٦٧) « له مجازان أحدهما أنّ العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى أنّه مفعول، لأنه ظرف يَفعل فيه غيره لأن النهار لا يُبصر ولكنه يُبصر فيه الذي ينظر، وفي القرآن: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة، ٢١) وإنما يرضى بها الذي يعيش فيها (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ١٠٩).

و يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿و حَسُنَ أولئِك رَفيقاً﴾ (النساء، ٦٩) «أي رفقاء، والعرب تفعل بلفظ الواحد والمعنى يقع على الجميع، قال العباس بن مِرداس:

فقلنا أسلمُوا إنّا أخوكم

فقد بَرِئت مِن الإحَنِ الصدورُ

و في القرآن: ﴿يُخرجُكم طِفلاً﴾ (غافر،٦٧) والمعنى أطفالاً» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٦١).

- الإستشهاد بالحديث النبوي:

كان أبو عبيدة يستشهد بالحديث النبوي أيضاً في تفسيره للآيات القرآنية، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿و ما أهِلّ به﴾ (البقرة، ١٧٣) «أي وما أريد به، وله مجاز آخر، أي: ما ذكر عليه من أسماء آلهتهم، ولا يُراد به الله عز وجل، جاء في الحديث: أ رأيتَ من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهلّ أليس مثلُ ذلك يُطلّ» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٣٧-٣٨ و البيهقي، السنن الكبرى، ١١٣/٨).

وكما في تفسير قوله تعالى: ﴿وهو الذي مَرَجَ البحرين﴾ (الفرقان، ٥٣) يقول: «إذا تركت الشيء وخليته فقد مرجته، ومنه قولهم: مرج الأمير الناس أي خلاهم بعضهم على بعض. مرجت دابتك أي تركتها في أمر مريج أي مختلط، وإذا رعيت الدابة فقد أمرجتها قال العجاج:

رَعَى بها مَرج رَبيعٍ ممرَجَا

و في الحديث (مرجت عهودهم وأماناتهم)[1] أي اختلطت وفسدت» (أبو عبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ١٩٢-١٩٣).

- الإستشهاد بالمثل:

نرى في مواضع كثيرة من كتاب «مجاز القرآن» الإستشهاد بالمثل، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿ملكوت السماوات﴾ (الأنعام، ٧٥) «أي مُلك السموات، خرجت مخرج قولهم في المثل: رَهبوت خيرٌ من رَحموت[2]، أي: رَهبة خير من رحمة» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي ، ص ٨٢).

و كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يرتع ويلعب﴾ (يوسف، ١٥) «أي ينعم ويلهو وقال المثل: «القيدُ والرَّتَعَة[3]» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص١١٨).

- الإستشهاد بالشعر:

استشهد أبو عبيدة في تفسير الآيات القرآنية بأبيات الشعر كثيراً و«اتخذ منها حجة وبرهاناً للتدليل على معاني الآيات القرآنية وأساليب أدائها المعاني» (الدّدّو، ٢٠١٠م، ص ١٢٧).

و من خلال النظر في كتابه يبدو أنّ عنايته بالشواهد الشعرية أكثر من عنايته بالشواهد القرآنية أو الحديثية أو المثلية.

من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿و كنتم على شَفا حُفرَةٍ من النار فأنقذكم منها﴾ (آل عمران، ١٠٣) «ترك «شفا»، ووقع التأنيث على «حفرة» وتصنع العرب مثل هذا كثيرا، قال جرير:

رأت مَرَّ السنين أخذن مني

كما أخذ السِّرارُ مِن الهلالِ

و قال العجاج:

طَولُ الليالي أسرعت في نقضي

طَوَينَ طُولي وطَوَينَ عَرضي»

(أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٤٩)

و أما موضع الإستشهاد في الآية فهو عود ضمير «ها» إلى «حفرة» لا «شفا». ففي البيت الأول يعود الضمير في «أخذن» إلى «السنين» لا «مرّ» وفي البيت الثاني يعود الضمير في «أسرعت» إلى «الليالي» لا «طول».

و قد يتكرر ورود الشاهد الشعري عند أبي عبيدة في أكثر من موضع، كما استشهد في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأُشربوا في قلوبهم العِجلَ﴾ (البقرة، ٩٣) و﴿ فأما الذين اسودّت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم﴾ (آل عمران، ١٠٦) و﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ (الأنفال، ٥١) و﴿ وفي السماء رزقكم وما توعَدون﴾ (الذاريات، ٢٢) بهذا البيت للنابغة الذبياني:

كأنّك مِن جِمالِ بَني أُقَيشٍ

يُقعقَعُ خلفَ رِجليه بِشَنٍّ»

(أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٣١، ٥٠، ٩٨، ٢٥٩)

موضع الإستشهاد في جميع الآيات هو الاختصار، فالأصل في الآية الأولى «حبّ العجل»، وفي الآية الثانية «فيُقال لهم أكفرتم»، وفي الآية الثالثة «و يقولون ذوقوا عذاب الحريق»، وفي الآية الرابعة «مَن في القرية».

و أراد الشاعر بالبيت، «كأنك جملٌ من جمال بني أقيش».

١. ابن ماجة، سنن ابن ماجة، ١٣٠٧/٢.
٢. الميداني، مجمع الأمثال، ٣٦٩/١.
٣. نفسه، ١٢١/٢.

– الإستعانة بلغات العرب:

يقوم أبو عبيدة بالاستعانة بلغات العرب لتفسير بعض الآيات، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿و أطعموا القانعَ والمُعترَّ﴾ (الحج، ٣٦) « أما القانع في معنى الراضي فإنّه من قنعت به قناعة وقناعاً وقنعاً، تقديره علمتُ، يقال من القنوع: قَنَع يقنَع قنوعاً، والقانع قنِع يقنَع قناعة وقنعاناً وقَنعاً وهو القانع الراضي» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ١٨٢).

– ذكر المترادفات في تفسير الآيات:

كما يذكر المترادفات في تفسيره للآيات القرآنية، على نحو ما جـــاء عنـــد تفسير قوله تعالى: ﴿طولا﴾ (النساء، ٢٥) «الطول: السَّعة والفضل، تقول للرجل: ما لك عليّ فضلٌ ولا طولٌ» (م.ن، ص ٥٨).

و كذلك في قوله تعالى: ﴿و قاتِلوا المشركين كافة ﴾ (التوبة، ٣٦) «أي عامة، يقال: جاءوني كافة، أي جميعاً» (م.ن، ص ١٠٢).

و كثيراً ما يدعم ذلك بأبيات من الشعر كما في تفسير قوله تعالى: ﴿مُهطِعين﴾ (إبراهيم، ٤٣) أي مسرعين، قال الشاعر:

بِمُهطِعٍ سُرُحٍ كأنّ زمامَه

في رأسِ جِذعٍ مِن أوالِ مشذَّبِ

و قال:

بِمُستَهطِعٍ رَسلٍ كأنّ جَديلَه

بِقَيدُوم رَعنٍ مِن صُؤامَ مُمَنّعِ

الرسل الذي لا يكلفك شيئا، بقيدوم: قدام، رَعن الجبل أنفه، صؤام: جبل، قال يزيد بن مُفرغ الحميري:

بِدِجلةَ دارُهُم ولقد أراهم

بدِجلَةَ مُهطِعِين إلى السَّماعِ»

(م.ن، ص ١٣٢)

كذلك عند قوله تعالى: ﴿ قالوا لا ضيرَ ﴾ (الشعراء، ٥٠) «مصدر ضار يضير، ويقال: لا يضيرك عليه رجل أي لا يزيدك عليه» (م.ن، ص ١٩٧).

و في قوله تعالى: ﴿الحَميّة﴾ (الفتح، ٢٦) «يقال: حميت أنفي حِميّة ومحميّة وحميتُ المريض حميّة وحميت القوم والحِمى منعتهم حماية، قال الفرزدق:

كأنّ رُبَيعاً مِن حمايةِ منقرٍ

أتان دعاها للوِداق حمارُها[1]

و أحميتَ الحِمى جعلته حماءً لا يُدخَل، وأحميت الحديدة وأحميت النار وأحميت الرجل أغضبته على إحماء» (م.ن، ص ٢٥٥).

**المسائل الصرفية والنحوية في «مجاز القرآن»:**

أشار أبو عبيدة في كتابه «مجاز القرآن» إلى مسائل نحوية وصرفية كثيرة متعددة. ونظراً لكثرة هذه المسائل نكتفي بدراسة بعض هذه المسائل في كتابه.

– الممنوع من الصرف:

كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿لهم من جهنمَ مِهادٌ﴾ (الأعراف، ٤١) «أي فراش وبساط ولا تنصرف جهنم لأنه اسم مؤنثة على أربعة أحرف» (م.ن، ص ٨٧).

– استعمال الماضي موضع المضارع:

كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة أنّ وهبت نفسَها للنبيّ أنّ أراد النبيّ أنّ يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ (الأحزاب، ٥٠) «وهبت في موضع «تهب» والعرب تقول ذلك. قال:

إن يَسمَعوا ريبةً طاروا بها فَرَحاً

و إن ذُكرتُ بسوءٍ عندَهم أذِنوا[1]

١. ما وجدتُ هذا البيت في ديوان الفرزدق، وهو في النقائض بهذا الشكل:
«كأن رُبيعاً حينَ تبصرُ منقراً أتانٌ دعاها فاستجابَت حمارُها» ١/١٢٤.

أي يطيروا. والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب، والمعنى للشاهد فترجع إلى الشاهد فتخاطبه» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٢٢٣).

- نصب المضارع بـــ«أن» مضمرة:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ لا يُقضَى عليهم فيموتوا﴾ (فاطر، ٣٦) «منصوب لأن معناه: «ليموتوا» وليس مجازه مجاز الإخبار لأنهم أحياء لا يموتون فيقضى عليهم. وقال الخليل: لم ينصب فعل قط إلا على معنى «أن» وموضعها وإن أضمروها فقيل له: قد نصبوا بـــ «حتى» و«كي» و«لن» و«اللام المكسورة» فقال: العامل فيهن «أن» (م.ن، ص ٢٣٠).

- إضمار اسم «أنّ»:

كما يقول في تفسير الآية الشريفة: ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ (المائدة، ٧١) فـــ «تكون»: مرفوعة على ضمير الهاء، كأنه قال: «أنه لا تكونُ فتنة» ومن نصب «تكون» فعلى إعمال «أن» فيها، ولا تمنع «لا» النصبَ أن يعمل في الفعل» (م.ن، ص ٧٥).

«أن» مخففة عن الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف، تقديره «أنه».

- الإستثناء المنقطع:

وردت هذه المسألة عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ (الليل، ١٩-٢٠) «استثنى من النعمة كما يُستثنى الشيء من الشيء ليس منه» (م.ن، ص ٢٩٢).

«ابتغاء» الإستثناء المنقطع، لأنه ليس داخلا في «من نعمة».

- قطع النعت المجرور إلى الرفع:

كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿بشرٍّ من ذلكم النارُ﴾ (الحج، ٧٢) «مرفوعة على القطع من شركة الباء، ولكنه مستأنف خُبر عنه و لم تعمل الباء فيه» (م.ن، ص ١٨٣).

- حذف حرف النداء:

كما قال في تفسير قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدّين﴾ (الفاتحة، ٤) «نصب على النداء، وقد تحذف ياء النداء، مجازه: يا مالك يوم الدين، لأنه يخاطب شاهداً» (م.ن، ص٢٢).

- النصب على الجوار:

وردت هذه المسألة عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿كما بدأكم تعودون * فريقاً هَدى وفريقاً حَق عليهم الضلالة﴾ (الأعراف، ٢٩-٣٠) «نصبهما جميعاً على إعمال الفعل فيهما أي هدى فريقاً ثم أشرك الآخر في نصب الأول وإن لم يدخل في معناه، والعرب تدخل الآخر المشرك بنصب ما قبله على الجوار وإن لم يكن في معناه، في آية أخرى: ﴿يُدخِل من يشاء في رحمته والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً﴾ (الإنسان، ٣١)» (م.ن، ص ٨٧).

- مجيء «في» بمعنى «على»:

تحدث أبو عبيدة عن هذه المسألة عند قوله تعالى: ﴿ في جذوع النخل﴾ (طه، ٧١) «أي على جذوع النخل، قال:

هُم صَلَبُوا العَبديَّ في جِذع نخلةٍ
فلا عَطِسَت شَيبانُ إلا بأجدعا

(أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ١٦٨)

- الاشتغال:

وردت هذه المسألة عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿سورةٌ أنزلناها﴾ (النور، ١) «مرفوعة بالإبتداء ثم جاء الفعل مشغولاً بالهاء على أنّ تُعمل فيها، وبعضهم ينصبها على قولهم زيداً لقيته، والمعنى لقيت زيداً» (م.ن، ص ١٨٦).

١. ورد هذا البيت في شرح شواهد المغني بهذا الشكل: «إن يَسمَعُوا سُبّة طاروا بها فَرَحاً عَنّي وما سَمِعُوا مِن صالحٍ دَفَنُوا» ٩٦٥/٢.

- زيادة «من»:

وردت هذه المسألة عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿ليغفرَ مِن ذنوبكم﴾ (إبراهيم، ١٠) «مجازه ليغفر لكم ذنوبكم، و«من» من حروف الزوائد، وفي آية أخرى: ﴿فما منكم مِن أحدٍ عنه حاجزينَ﴾ (الحاقة، ٤٧) مجازه ما منكم أحد، وقال أبو ذؤيب:

جَزَيتِك ضِعفَ الحبِّ لما شكوتِه
وما أنّ جزاك الضِّعفَ مِن أحدٍ قبلِي

أي أحدٌ قبلي» (م.ن، ص ١٢٩).

وقد كان هذا بعض ما وجدنا من المسائل الصرفية والنحوية في كتاب «مجاز القرآن».

**المسائل البلاغية في «مجاز القرآن»:**

يظهر اهتمام أبي عبيدة بأدبية القرآن الكريم، من خلال تركيزه على المسائل البلاغية. حيث تناول هذا الكتاب في زمنه المتقدم بعض ما عرف أخيراً بعلم المعاني والبيان «فهو بذلك يحمل بذوراً كثيرة لغراس علمَي البلاغة (المعاني والبيان)» (البيومي، ١٩٧١م، ص ٤٧).

فقد كشف ما في الآيات من التشبيه والإستعارة والكناية والتقديم والتأخير والحذف وغير ذلك، ووصل من خلال ذلك إلى الخصائص الأسلوبية للقرآن الكريم وجمالياته.

وقع بعض العلماء في الخطأ في فهم هدف أبي عبيدة من تأليف كتابه، فيرى عبد القادر حسين أنّ أبا عبيدة كان يهدف من تأليف كتاب «مجاز القرآن» إلى شرح ألفاظ القرآن شرحاً لغوياً، وليس إلى إبراز الصور البيانية (١٩٨٥م ، ص ١٣٣).

والحقيقة أنّ أبا عبيدة يهدف من خلال تركيزه على المسائل البلاغية في القرآن الكريم أنّ يشير إلى أنّ القرآن معجز من حيث أساليبه البيانية بالنسبة إلى أساليب العرب البيانية، وتفوّقها عليها نظماً وتأليفاً.

**١- مسائل المعاني في«مجاز القرآن»:**

- خروج الإستفهام عن معناه الحقيقي:

يشير أبو عبيدة في مواضع كثيرة من كتابه إلى خروج الإستفهام عن معناه الحقيقي. كما في تفسير قوله تعالى: ﴿و سواء عليهم أ أنذرتهم أم تنذرهم لا يؤمنون﴾ (يس، ١٠) «لها ثلاثة مواضع، لفظها لفظ الإستفهام وليس باستفهام قال زهير:

سَواءٌ عَليهِ أيَّ حينٍ أتيتَه
أ ساعةَ نَحسٍ تُتَّقَى أم بأسعُدِ

فخرج لفظها على لفظ الإستفهام وإنّما هو إخبار» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٢٣٢).

و يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿هل يستويان مثلا﴾ (هود، ٢٤) «أي لا يستوي المثلان مثلا، وليس موضع «هل» ها هنا موضع الإستفهام ولكن موضعها ها هنا موضع الإيجاب أنّه لا يستويان، وموضع تقرير وتخبير: أنّ هذا ليس كذلك، ولها في غير موضع آخر: موضع «قد»» (م.ن، ص ١١٢).

- الإيجاز:

كشف أبو عبيدة عن أسلوب الإيجاز وأشار إليه في مواضع كثيرة من كتابه، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿و أُشربوا في قلوبهم العِجلَ﴾ (البقرة، ٩٣) «سُقوه حتى غلب عليهم، مجازه مجاز المختصَر، أشربوا في قلوبهم العجل: حبّ العجل، وفي القرآن: ﴿واسأل القرية﴾ (يوسف، ٨٢) مجازها: أهل القرية، وقال النابغة الذبياني:

كأنَّك مِن جمالِ بني أقيشٍ
يُقعقعُ خلفَ رجليهِ بشنٍّ

أقيش: حيٌّ من الجن، أضمر جملاً يقعقع خلف رجليه بشن» (م.ن، ص ٣١).

يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماوَاتِ والأَرْضِ رَبَّنا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً﴾ (آل عمران، ١٩١) «العرب تختصر الكلام ليخففوه لعلم المستمع بتمامه، فكأنه في تمام القول: ويقولون: ربنا ما خلقتَ هذا باطلا» (م.ن، ص ٥٤).

– الإطناب:

لم ينص أبوعبيدة على الإطناب صراحة ولكنه أشار إليه في تفسير بعض الآيات، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿فصيامُ ثلاثةِ أيام في الحجّ وسبعةٍ إذا رجعتم تلك عشرة كاملة﴾ (البقرة، ١٩٦) «العرب تؤكد الشيئ وقد فرغ منه، فتعيده بلفظ غيره تفهيما وتوكيدا» (م.ن، ص ٣٩).

– الإلتفات:

تعرّفّ أبو عبيدة على لأسلوب الإلتفات وأشار إليه في تفسيره لبعض الآيات القرآنية، ولكنه لم ينص عليه صراحة.

فهو يقول في مقدمة كتابه: «من مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الغائب ومعناها للشاهد، قال: ﴿آلم، ذلك الكتاب﴾ (البقرة، ٢)، مجازه: الم هذا القرآن، ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحُوّلت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله: ﴿حَتّى إذا كنتم في الفلك وجَرَينَ بهم﴾ (يونس، ٢٢) أي بكم، ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد، قال: ﴿ثمّ ذهبَ إلى أهلِه يَتمَطّى * أولَى لك فأولَى﴾ (القيامة، ٣٣ –٣٤)» (م.ن، ص ١٧).

و يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسَها للنبيّ أنّ أراد النبيّ أنّ يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ (الأحزاب، ٥٠) «وهبت في موضع «تهب» والعرب تفعل ذلك. قال:

إن يَسمَعوا ريبةً طاروا بها فَرَحاً
وإن ذُكرتُ بسوءٍ عندَهم أذِنوا

أي يطيروا. والعرب قد تخاطب فتخبر عن الغائب، والمعنى للشاهد فترجع إلى الشاهد فتخاطبه» (م.ن، ص ٢٢٣).

– التقديم والتأخير:

كشف أبو عبيدة أسلوب التقديم والتأخير وأشار إليه في مواضع كثيرة من كتابه، فهو يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿بربّهم يعدلون﴾ (الأنعام، ١) «مقدم ومؤخر، مجازه يعدلون بربهم، أي يجعلون له عِدلاً، تبارك وتعالى عما يصفون» (م.ن، ص ٧٨).

و في تفسيره لقوله تعالى: ﴿و أجلٌ مسمّىً عنده﴾ (الأنعام، ٢) « مقدم ومؤخر، مجازه: وعنده أجلٌ مسمّى، أي وقتٌ مؤقت» (م.ن، ص ٧٨).

و في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أحسَنَ كلَّ شيءٍ خَلقَه﴾ (السجدة، ٧) يقول: «مجازه أحسن خلق كل شيء والعرب تفعل هذا يقدمون ويؤخرون، قال الشاعر:

وَطَعني إليك الليلَ حِضنَيه إنّني
لتلك إذا هابَ الهِدانُ فعُولُ

معناه: وَطَعني حِضني الليل إليك» (م.ن، ص ٢١٨–٢١٩).

**٢– مسائل البيان في«مجاز القرآن»:**

– التشبيه:

عرف أبو عبيدة التشبيه وصرّح به في تفسيره للآيات القرآنية وكما ذكرنا أنّه ألّف كتابه بسبب مسألة متعلقة بالتشبيه في قوله تعالى﴿طلعُها كأنّهُ رُؤوسُ الشياطينِ﴾ (الصافات، ٦٥)

فيقول في تفسير قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرثٌ لكم﴾ (البقرة، ٢٢٣) «كناية وتشبيه» (م.ن، ص ٤٠).

في هذه الآية شُبّهت النساءُ بالأرض التي تحرَث للزرع، ففي كليهما تكثير.

و يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿أ فمن أسّسَ بنيانَه على تقوى من اللهِ ورضوانٍ خيرٌ أم من أسّسَ بنيانَه على شفا جُرُفٍ هارٍ﴾ (التوبة، ١٠٩) «مجاز الآية: مجاز التمثيل لأنّ ما بنوه على التقوى أثبت أساساً من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف، وهو ما يُجرف من سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه» (م.ن، ص ١٠٦).

إن التشبيه الوارده في الآية يعطي صورة في منتهى الوضوح عن عدم ثبات أعمال المنافقين وتزلزلها فهو سبحانه شبَّه بنيان المنافقين على نار جهنم بالبناء على جانب نهر هذا صفته، فكما أنّ من بنى على جانب هذا النهر فإنّه ينهار بناءه في الماء ولا يثبت، فكذلك بناء هوَلاء ينهار ويسقط في نار جهنم.

- الكناية:

أشار أبو عبيدة إلى الكناية في مواضع من كتابه، كما يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أو لامستم النساءَ﴾ (المائدة، ٦) «كناية عن الغشيان» (م.ن، ص ٦٩).

وكما يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائط﴾ (النساء، ٤٣) «كناية عن حاجة ذي البطن» (م.ن، ص ٥٩-٦٠).

و يقول في قوله تعالى: ﴿حتى توارت بالحجابِ﴾ (سورة ص، آية ٣٢)، «المعنى للشمس» (م.ن، ص ٢٤٣). فهو فهم الكناية في هذه الآية القرآنية ولكنه لم يذكر لفظها صريحاً.

- الإستعارة:

عرف أبو عبيدة الإستعارة لكنه لم ينص عليها صراحة كما ينص على الكناية والتشبيه.

و كما يتضح من تفسيره لقوله تعالى: ﴿في قلوبهم مَرَضٌ فزادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾ (البقرة، ١٠) أنّه قد عرف الإستعارة التصريحية ولكنه لم ينص عليها صراحة، فيقول: «أي شك ونفاقٌ» (م.ن، ص ٢٥). فهو يفسر المرض بالشك والنفاق وتشبيه الشك والنفاق بالمرض استعارة تصريحية.

يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: «استعمال المرض في القلب يجوز أنّ يكون حقيقة ومجازاً، فالحقيقة أنّ يراد الألم كما تقول: في جوفه مرض. والمجاز أنّ يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل إلى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض، كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك. والمراد به هنا ما في قلوبهم من سوء الإعتقاد والكفر أو من الغل والحسد والبغضاء» (٢٠٠٩م ، ص٤٦).

و يفسّر (الإصر) بالثقل (أبو عبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٤٤) في تفسير قوله تعالى: ﴿ربّنا ولا تَحمِل علينا إصراً كما حَمَلتَه على الذين مِن قبلِنا﴾ (البقرة، ٢٨٦).

يقول الزمخشري أيضاً في تفسير هذه الآية: «والإصر: العبء الذي يأصر حامله، أي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله، استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الأنفس، وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك» (٢٠٠٩م، ص١٥٩).

و يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَ تَذهَبَ ريحُكم﴾ (الأنفال، ٤٦) «مجازه وتنقطع دولتكم» (أبو عبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٩٨). فهو يفسر الريح بالدولة. شُبِّهت الريحُ في الآية بالدولة في نفوذ أمرها، وهي من الإستعارة التصريحية.

- المجاز:

أطلق أبو عبيدة كلمة «المجاز» على معناه الإصطلاحي المعروف، في تفسير بعض الآيات، كما يقول في تفسير

قوله تعالى: ﴿و أرسلنا السماءَ عليهم مِدراراً﴾ (الأنعام، ٦) «بمجاز السماء ها هنا مجاز المطر، يقال: ما زلنا في سماء، أي في مطر، وما زلنا نطأ السماء، أي أثر المطر، وأنّى أخذتكم هذه السماء؟» (م.ن، ص ٧٨-٧٩).

و يفسر اليد بالخير في قوله تعالى: ﴿يدُ اللهِ مغلولة﴾ (المائدة، ٦٤) «أي خير الله مُمسَك» (م.ن، ص ٧٤).

و يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَ النَّهَارَ مُبْصِراً﴾ (يونس، ٦٧) «له مجازان أحدهما أنّ العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل، والمعنى أنّه مفعول، لأنّه ظرف يَفعل فيه غيره لأن النهار لا يُبصر ولكنه يُبصر فيه الذي ينظر، وفي القرآن: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ (الحاقة، ٢١) وإنّما يرضى بها الذي يعيش فيها، قال جرير:

لقد لُمتِنا يا أمَّ غَيلانَ في السُّرى

و نمتِ وما ليل المَطِيِّ بنائمِ

و الليل لا ينام وإنّما يُنام فيه» (م.ن، ص ١٠٩).

واضح مما ذكر أنّ المثال الأول والثاني من المجاز المرسل والمثال الثالث من المجاز العقلي.

- أسلوب «التشخيص»:

و مما تجدر الإشارة إليه التفات أبي عبيدة عند تفسير بعض الآيات القرآنية إلى إطلاق صفات إنسانية على الحيوان والجماد، وهذا ما يسمّى اليوم بأسلوب «التشخيص» (سيد قطب، ٢٠٠٢م، ص ٧٣).

فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿قالت نملة يا أيّها النمل ادخلوا مساكنكم ﴾ (النمل، ١٨) «هذا من الحيوان الذي خرج مخرج الآدميين، والعرب قد تفعل ذلك قال:

شَربتُ إذا ما الدِّيك يدعو صباحه

إذا ما بنو نَعشٍ دَنَوا فَتَصَوَّبوا»

(أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٢٠١)

الشاهد في البيت هو استخدام الشاعر أسلوبَ التشخيص، حيث جعل الديك إنساناً يفهم.

و في تفسير الآية الشريفة: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ (فصلت، ١١) «هذا مجاز الموات والحيوان الذي يشبه تقدير فعله بفعل الآدميين» (أبوعبيدة، ٢٠٠٦م، تحقيق المزيدي، ص ٢٤٨).

و في تفسير الآية الشريفة: ﴿كلّ يجري لأجل مسمّى﴾ (فاطر، ١٣) «مجازه مجاز ما خرج من الحيوان والموات مخرج الآدميين» (م.ن، ص ٢٣٠).

و في تفسير الآية الشريفة: ﴿و كلّ في فلك يسبحون﴾ (يس، ٤٠) «مجاز هذا مجاز الموات الذي أجري مجرى الناس في القرآن» (م.ن، ص ٢٣٤).

و في تفسير الآية الشريفة: ﴿فاسألوهم أنّ كانوا يَنطِقونَ﴾ (الأنبياء، ٦٣) «فهذا من الموات وخرج مخرج الآدميين» (م.ن، ص ١٧٦).

نظراً لكثرة الأمثلة في كتاب «مجاز القرآن» لهذه المسائل التي ذكرت، فقد اكتفينا بذكر بعض الأمثلة منها.

مما سبق يتبين لنا أنّ أبا عبيدة جعل القرآن الكريم محوراً لدراسته واستهدف من خلال كتابه فهمَ النص القرآني فهماً صحيحاً وإدراك مراميه واكتشافَ خصائص القرآن الأسلوبية والأدبية التي كانت وما تزال أساس التحدي ومناط الإعجاز. وبهذه الصورة جاء كتاب «مجاز القرآن» منسجماً مع الدافع الذي حفز صاحبه إلى تأليفه.

و كان لكتاب «مجاز القرآن» أثره - دون شك - في توجيه مبحث الإعجاز وجهة خاصة في الدراسات القرآنية بعد أبي عبيدة. فقد شقّ الطريق لحركة تفسيرية أدبية واسعة فيما بعد. ومما يؤكد هذا أنّ العلماء الذين جاؤوا بعد أبي عبيدة وكتبوا في الإعجاز بنوا على هذا الكتاب كثيراً من قضايا الإعجاز.

**النتيجة**

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى ما يأتي:

– كتاب «مجاز القرآن» من الكتب الفريدة من نوعها ومن أول ما صُنّف في أسلوب القرآن الكريم، وهو كتاب له مترلته عند المتقدمين والمتأخرين سواء.

– أنّ كتاب «مجاز القرآن» يعتبر خطوة تالية لخطوة عبدالله بن عباس في التفسير الأدبي وقد تأثر أبو عبيدة بابن عباس في تفسير الآيات القرآنية، فنراه في كتابه يستشهد بنفس الأبيات التي استشهد بها ابن عباس، ولكنه لم يكن مقلداً فحسب بل له وجهات نظر عرضها في كتابه.

– أنّ أبا عبيدة متحرر من قواعد مدرستي البصرة والكوفة وهذه القواعد لم تجد سلطتها عليه.

– عني أبو عبيدة عناية كبيرة بالشواهد وأكثر من الاستشهاد بالقرآن الكريم، الحديث النبوي، المثل والشعر لتدعيم آرائه في تفسير الآيات القرآنية.

– استخدم أبو عبيدة بعض المصطلحات البلاغية في كتابه «مجاز القرآن» وإن لم يحدّد مفهوماً علميا لها ولكنها كانت أساساً اعتمد عليه العلماء المتأخرون في تحديد مدلولات دقيقة لهذه المصطلحات.

– لفت أسلوب «التشخيص» أي إطلاق الصفات الإنسانية على الحيوان والجماد في القرآن الكريم نظر أبي عبيدة إليه في زمن مبكر جدّاً وإن لم يطلق عليه هذا الإصطلاح.

– أطلق أبو عبيدة اسم «المختصر» على مصطلح «الإيجاز» و هو من مصطلحات علم المعاني.

– في الحقيقة اهتم أبو عبيدة بالناحية اللغوية والنحوية والبلاغية في أسلوب القرآن الكريم ليبين لنا مدى إعجازه فيعتبر أول من كشف عن سرّ إعجاز القرآن الكريم ووضع اللبنات الأولى لدراسة إعجاز القرآن الأدبي.

**المصادر والمراجع**


[١] القرآن الكريم.

[٢] ابن تيمية، الإيمان، بيروت، المكتب الإسلامي، لا ط، ١٩٩٦م.

[٣] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، لا ط، لا تا.

[٤] ابن ماجة، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دارالكتب العلمية، لا ط، لا تا.

[٥] ابن النديم، أبوالفرج محمد بن أبي يعقوب إسحق، الفهرست، تحقيق رضا، دار المسيرة، ط ٢، ١٩٨٨م.

[٦] أبوزيد، نصر حامد، الإتجاه العقلي في التفسير (دراسة في قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة)، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط ٤، ١٩٩٨م.

[٧] أبوعبيدة، معمر بن المثنّى التيمي، مجاز القرآن، تحقيق أحمد فريد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠٦م.

[٨] ـــــــ، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، القاهرة، مكتبة الخانجي، لا ط، ١٩٥٤م.

[٩] البيهقي، أبوبكر أحمد بن الحسين بن علي، السنن الكبرى، بيروت، دار المعرفة، ط ١، ١٣٥٤هـ .

[١٠] البيومي، محمد رجب، خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، لا ط، ١٩٧١م.

[١١] تحريشي، محمد، النقد والإعجاز، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، لا ط، ٢٠٠٤م.

[١٢] الجاحظ، أبوعثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط ٧، ١٩٩٨م.

[١٣] جرير والفرزدق، النقائض، بيروت، دارالكتاب العربي، لا ط، لا تا.
[١٤] حسين، عبدالقادر، القرآن والصورة البيانية، بيروت، عالم الكتب، ط ٢، ١٩٨٥م.
[١٥] الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٣م.
[١٦] الدّدّو، عمار، البحث الدلالي في كتب معاني القرآن، الأردن، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٠م.
[١٧] الزبيدي، أبوبكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، مصر، دار المعارف، ط ٢، لا تا.
[١٨] الزمخشري، أبوالقاسم جارالله محمود بن عمر، تفسير الكشاف، بيروت، دارالمعرفة، ط ٣، ٢٠٠٩م.
[١٩] السراج، موفق، "أَبو عبَيْدة التّيمي منهجه ومذهبه في مجَاز القرآن"، مجلة التراث العربي، العدد : ١٨، السنة الخامسة، كانون الثاني "يناير" ١٩٨٥-ربيع الثاني ١٤٠٥.
[٢٠] سلام، محمد زغلول، أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، تقديم محمد خلف الله أحمد، مكتبة الشباب، ط١،لا تا.
[٢١] سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، القاهرة، دارالشروق، ط ١٦، ٢٠٠٢م.
[٢٢] السيرافي، أبوسعيد الحسن بن عبدالله، أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، مصر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ١، ١٩٥٥م.
[٢٣] السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، شرح شواهد المغني، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، لا ط، لا تا.
[٢٤] ضيف، شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، مصر، دار المعارف، ط ٧، لا تا.
[٢٥] طبانة، بدوي، البيان العربي، مصر، مطبعة الرسالة، ط ٢، ١٩٥٨م.
[٢٦] الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٢٢هـ.
[٢٧] علوى مقدم، محمد، در قلمرو بلاغت (في مجال البلاغة، مشهد، مؤسسه چاپ وانتشارات آستان قدس رضوى، ط ١، ١٣٧٢هـ.ش.
[٢٨] العمري، أحمد جمال، المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، القاهرة، مكتبة الخانجي، لا ط، ١٩٩٠م.
[٢٩] عرفة، عبدالعزيز عبدالمعطي، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، بيروت، عالم الكتب، ط ١، ١٩٨٥م.
[٣٠] الميداني، أبوالفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري، مجمع الأمثال، تقديم وتعليق نعيم حسين زرزور، بيروت، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨م.

# بررسی و نقد تلاش‌های ادبی ابوعبیده (پیشتاز علم معانی و بیان) پیرامون قرآن کریم

**رضوان باغبانی[١]، خلیل پروینی[٢]، محمد ابراهیم خلیفه شوشتری[٣]، عیسی متقی‌زاده[٤]**

تاریخ دریافت: ١٣٨٩/١٠/٢٩ تاریخ پذیرش: ١٣٩٠/٤/٦

کتاب «مجاز القرآن» از نخستین کتاب‌هایی است که در پایان قرن دوم هجری، به‌وسیله ابوعبیده معمر بن مثنی، پیرامون قرآن کریم تألیف شد. با بررسی دقیق این کتاب به این نکته پی می‌بریم که ابوعبیده، گام‌های اولیه را در رابطه با نظم و اسلوب قرآن کریم برداشته است. تلاش‌های او در این زمینه، راه را برای تألیف کتب جامعی در زمینهٔ اسلوب ادبی قرآن کریم هموار ساخت و تأثیر آن در آثار نویسندگان قرون بعد آشکار است.

ابوعبیده در کتابش به کشف جنبه‌های زیبایی‌شناسی قرآن کریم پرداخته است. وی به این مسئله واقف شده که در آیات قرآن کریم چیزی نهفته است که شرح و توضیح نیاز دارد. او با استشهاد به آیات قرآن کریم، حدیث نبوی، شعر و نثر، به بیان ویژگی‌های لغوی، نحوی و بلاغی این کتاب مقدس پرداخته و از این طریق به راز اعجاز قرآن کریم و بلاغت منحصر به فرد آن پی برده است؛ هرچند، به صورت مستقیم، اشاره‌ای به لفظ (اعجاز) ومسئله‌ی اعجاز نکرده است.

بنابراین، کتاب «مجاز القرآن» نخستین کتابی است که به کشف اعجاز قرآن کریم پرداخته و اسلوب ادبی قرآن کریم را بررسی نموده است.

روشی که در این مقاله به آن تکیه نموده‌ایم روش توصیفی – تحلیلی است.

**کلید واژگان: قرآن کریم، «مجاز القرآن»، ابوعبیده، بررسی ادبی، اعجاز.**

١. دانشجوی دکتری رشته زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس، rezvan_baghbani@yahoo.com

٢. دانشیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس

٣. دانشیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه شهید بهشتی

٤. استادیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه تربیت مدرس